من الأدلة ما يكون يوم القيامة عند البعث يحشرون حفاةً عراةً غرلا بهما

ولما رأى النار فقال : { إني آنَسْتُ نَارًا لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِنَ النَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ } (القصص:29) { فلما جَاءَهَا نُودِيَ أَنْ بُورِكَ مَنْ فِي النَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا } (النمل:8) يعني: سمع نداء الله { أن يَا مُوسَى إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ } (القصص:30-31) هل تقول الشجرة هذا الكلام الذي ذكره الله تعالى : { إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِي الْمُقَدَّسِ طُوًى وَأَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَى إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي } (طه:12-14) { يا مُوسَى إِنَّهُ أَنَا اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ وَأَلْقِ عَصَاكَ } (النمل:9-10) ؟! هذا كلام لا يقوله إلا الرب سبحانه الذي ناداه.
وقوله: وقال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: { إذا تكلم الله بالوحي سمع صوته أهل السماء } روي ذلك عن النبي صلى الله عليه وسلم. شرح: يكفينا أنه روي عن النبي صلى الله عليه وسلم، وقد ذكر في كتاب التوحيد في باب قوله تعالى: { حتى إِذَا فُزِّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ } (سبأ:23) حديث النواس بن سمعان رضي الله عنه قوله صلى الله عليه وسلم: { إذا أراد الله أن يوحي بالأمر، تكلم بالوحي، أخذت السماوات منه رجفة -أو قال: رعدة شديدة- خوفًا من الله عز وجل، فإذا سمع ذلك أهل السماوات صعقوا وخروا لله سُجَّدًا، فيكون أول من يرفع رأسه جبريل فيكلمه الله } - وهذا صريح في أنه يكلمه الله من وحيه بما يشاء- { فينتهي جبريل بالوحي إلى حيث أمره الله } . وفي هذا دليل واضح على أن موسى وجبريل - عليهما السلام - كلا منهما سمع كلام الله، ولا بد أن يكون المسموع مفهوما لكل من سمعه. وقوله: وروى عبد الله بن أنيس عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: { يحشر الله الخلائق يوم القيامة عراة حفاة غُرلا بهما ، فيناديهم بصوت يسمعه من بعد كما يسمعه من قرب : أنا الملك أنا الديان } استشهد به البخاري مختصرا في كتاب "العلم"، باب الخروج في طلب العلم. قال: "ورحل جابر بن عبد الله مسيرة شهر إلى عبد الله بن أنيس في حديث واحد" ثم أخرج طرفا من متنه في كتاب التوحيد باب قوله تعالى: "ولا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له.." فقال: "ويذكر عن جابر عن عبد الله بن أنيس قال: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: "يحشر الله العباد فيناديهم بصوت..." الحديث . رواه الأئمة واستشهد به البخاري شرح: وهذا أيضا من الأدلة؛ وهو مما يكون في يوم القيامة، عندما يبعثون من قبورهم يحشرون حفاةً عراةً غرلا بهما - كما في بعض الروايات - (حفاة) أي: غير منتعلين؛ ليس عليهم أحذية ، (عراة) أي: ليس عليهم أكسية؛ عراة الأجساد، (غرلاً) أي: الرجال منهم غير مختَّنين؛ أي: أنهم كما بدأ خلقهم، وكما خرجوا إلى الدنيا يكون خلقهم كاملاً، يعود إليهم ما أزيل عنهم من تلك القُلْفة التي تقطع من مذاكيرهم في الصغر، فيكونون غرلاً. (بُهْمًا) قيل: إن معناه أنهم يغلب عليهم السواد من شدة الحر ومن العرق ونحوه، البُهْم: هو السواد، ومنه الكلب البهيم، وقيل: إن معناه أنهم لا يتكلمون كالبهائم، ولهذا قال في آية أخرى: { فلا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا } (طه:108) يعني: أنهم شاخصة أبصارهم كما في قوله تعالى { مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاءٌ } (إبراهيم: 43) وقد ذكر في هذا الحديث أنهم إذا حُشروا يسمعون نداء الله تعالى، ينادي بنداء يسمعه من قَرُب كما يسمعه من بَعُد، يخبرهم بأنه ربهم ، وبأنه سوف يحاسبهم، وقد ورد في حديث آخر : { فينادي آدم بصوت: إن الله يأمرك أن تخرج من ذريتك بعثًا إلى النار } . فهذا ونحوه دليل واضح على أن كلام الله تعالى مسموع، يسمعه من بَعُد ويسمعه من قَرُب. وقوله: وفي بعض الآثار أن موسى عليه السلام ليلة رأى النار؛ فهالته ففزع منها، فناداه ربه: يا موسى ؛ فأجاب سريعًا استئناسًا بالصوت ، فقال: لبيك لبيك، أسمع صوتك ولا أرى مكانك فأين أنت؟ فقال: أنا فوقك وأمامك، وعن يمينك، وعن شمالك -فعلم أن هذه الصفة لا تنبغي إلا لله تعالى- قال: كذلك أنت يا إلهي، أفكلامك أسمع أم كلام رسولك ؟ قال: بل كلامي يا موسى شرح: هذا من الآثار الإسرائيلية التي تروى للاستئناس لا للاستدلال بها ، وقد قال عليه السلام : { لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم، وقولوا: ' آمنا بالذي أنزل إلينا وأنزل إليكم' } (العنكبوت:46) الآية رواه البخاري في التفسير برقم (4485). وكذلك قال صلى الله عليه وسلم : { حدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج ... } الحديث رواه البخاري في الأنبياء برقم (3461). فهذا الأثر فيه: أن موسى لما أتى إلى الشجرة ناداه مناد، فقال: " لبيك ... -إلى -. فعند ذلك سأل: أكلامك أسمع أم كلام رسولك ؟ قال: بل كلامي يا موسى ". وأما قوله: (أنا فوقك، وأمامك، وعن يمينك، وعن شمالك..) فإنه يذكره بقربه، يعني: إني قريب منك، وإني أراك، وأنك لا تخفى عليّ. ولا ينافي ذلك صفة العلو والفوقية، حيث إنه أراد بذلك القرب والمعية، وعدم الغيبوبة عنه، أي: أنا عندك، وأنا قريب منك ولا يخفى علي من أمرك شيء، وبكل حال فهذا دليل على أن الله تعالى تكلم، وأنه أسمع كلامه لمن شاء، ومنهم موسى عليه السلام.